جمهورية مصر العربية	١٠ من ربيع أول ١٤٣٨هـ□
وزارة الأوقاف	٩ من ديسمبر٢٠١٦م

(١)

من الجوانب الإنسانية
في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد** :

فإذا كانت بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما هي رحمة للعالمين ولتتمم مكارم الأخلاق نجدها مفعمة بالحس الإنساني ، والجوانب الإنسانية ، سواء في مقاصدها التشريعية أم في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذي حباه ربه (عزّ وجلّ) بالفضائل الإنسانية ، وجمَّله بمكارم الأخلاق حيث قال:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

لقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس خلقًا ، وأصدقهم حديثًا، وأكرمهم عشرةً ، فهو الزوج نعم الزوج ، تحققت فيه كل معاني المودة والرحمة والسكن، فهذه زوجه خديجة (رضي الله عنها) تصفه فتقول:" إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"، وها هو (صلى الله عليه وسلم) يحفظ لها عهدها بعد وفاتها ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) امْرَأَةٌ ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِطَعَامٍ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَغْمُرْ يَدَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ ، أَوْ حفظَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ).

فهو الزوج الوفيُّ المحبُّ لزوجه في الحياة وبعد الممات ، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِر ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ؛ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ). وفي رواية قال (صلى الله عليه وسلم) :" مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا ".

وكما كان (صلى الله عليه وسلم) نعم الزوج كان نعم الأب ونعم الجد ونعم الصديق ، أما عن أبوته (صلى الله عليه وسلم) فكان أبًا عطوفًا يحمل بين جنباته كل معاني العطف والحنان والشفقة والرحمة ، وها هو تدمع عيناه عند وفاة ابنه إبراهيم (عليه السلام) لما دخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) : وأنت يا رسول الله؟! ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) : " يا ابن عوف إنها رحمة " ثم قال : " إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون".

ولم يفرِّق (صلى الله عليه وسلم) في المعاملة بين أبنائه ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يعطف على بناته ويكرمهن أعظم إكرام ، وكان إذا دخلت عليه

ابنته فاطمة (رضي الله عنها) يقوم لها ويقبلها بين عينيها ، ويجلسها عن يمينه ، وربما بسط لها ثوبه ، بل ويخصها ببعض أسراره تكريمًا لها وإعلانًا لمحبته لها.

وإذا كان عطفه على بناته قد بلغ مبلغًا عظيمًا فقد كان (صلى الله عليه وسلم) نعم الجد مع أحفاده ، فإنه (صلى الله عليه وسلم) لما سجد فِي إِحْدَى صَلاته يومًا وأطال السجود، قال الناس: يا رسول الله ، إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحَى إليك ، قال: (كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنِ ابْنِي (الْحَسَن) ارْتَحَلَنِي- ركب على ظهري - فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ) ، وعندما كان (صلى الله عليه وسلم) يخطب على المنبر (إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ اللَّهُ : {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا). وكان (صلى الله عليه وسلم) يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا).

وأما عن صحبته (صلى الله عليه وسلم) فكانت نعم الصحبة ، يذكر لأهل الفضل من أصحابه فضلهم ، وكان يقول : " إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ ".

بل إنه (صلى الله عليه وسلم) كان يتألم لألم أصحابه ويبكى لمصابهم ، فلمَّا (اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ وَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم)

يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنهم) ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ (ما يتغشاه من كرب من الوجع الذي هو فيه)، فَقَالَ: قَدْ قَضَى ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَبَكَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) بَكَوْا، فَقَالَ : أَلاَ تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ....).

ومع كل ذلك نرى فيه الإنسان الذي يخدم نفسه ويكون في مهنة أهله ، فيحلب شاته ، ويخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، فلما سُئَلَت السيدة عَائِشَة (رضي الله عنها) هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ}، وفي رواية: (يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ ، خَرَجَ إِلَى الصَلَاةِ).

ومن أعظم الجوانب الإنسانية في حياته (صلى الله عليه وسلم) رحمته بجميع أمته ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، وأخبر (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الرحمة فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) ، وبهذه الرحمة والرأفة نجح (صلى الله عليه وسلم) في تأليف قلوب مَنْ حَوْلَه ، وصدق الله حيث قال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...}، فقد بلغت رحمته (صلى الله عليه وسلم) بأمته حدًّا يفوق كل تصورات العقول ، حتى شملت كل

المخلوقات ، فالطفل له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فحين قَبَّلَ (صلى الله عليه وسلم) الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ : مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ).

ثم لا يلبث أن يسمع بكاء الطفل الرضيع التي كانت أمه تصلي خلفه (صلى الله عليه وسلم) في المسجد فينهي صلاته على عجل رحمة بالرضيع وحتى لا تنشغل أمه أو تحزن لبكائه، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ).

وكذلك الخادم كان له نصيب من رحمته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فها هو أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يقول: (خَدَمْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا كُنْتَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ؟).

حتى الحيوان كان له أيضًا نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم)، فحين دخل (صلى الله عليه وسلم) حائطًا لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حنّ وذرفت عيناه فأتاه (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت، فقال (صلى الله عليه وسلم): (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار فقال: لِيَ يا رسول الله ، فقال له : (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ).

ومن الجوانب الإنسانية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) : عنايته بالضعفاء والأيتام والأرامل والفقراء والمساكين ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) وأشار بالسبابة والوسطى. وقال (صلى الله عليه وسلم): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) .

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) يسعى في قضاء حوائج هؤلاء الضعفاء، ويزور مريضهم ويخفف من آلامهم ، ويطعم جائعهم ، ويقضى عن غارمهم ، يفعل هذا معهم والسعادة تَغْمُر قلبه والرحمة تملأ حنايا صدْره ، فكَانَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَا يَأْنَفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. **إخوة الإسلام** :

من الجوانب الإنسانية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) : وفاؤه بالعهد: وهذا الخلق العظيم من أخص خصائصه (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وبعدها ، حتى في ساحة القتال لم يغدر (صلى الله عليه وسلم) ، بل وفَّى بالعهد حتى مع أعدائه ، فعن حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّى خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي- حُسَيْلٌ- قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ

قُرَيْشٍ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : (انْصَرِفَا ، نَفِى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ)، وكان من وصاياه (صلى الله عليه وسلم) في المعارك لأصحابه خاصة وللمقاتلين من أمته عامة : (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا ، وَلَا طِفْلًا ، وَلَا صَغِيرًا ، وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ومن الجوانب الإنسانية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) : تعامله مع المخطئ برفق ولين ، دون تعنيف أو تسفيه أو تجريح ، فهذا الأعرابي الذي بال في مسجده (صلى الله عليه وسلم) وثار الناس وهموا أن يفتكوا به لهذا الجُرم الذي فعله، فماذا فعل النبي (صلى الله عليه وسلم)؟! قال: (دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ – أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ– فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ) .

إن إنسانية النبي (صلى الله عليه وسلم) راعت الحقوق ووفَّت بالعهود ، وحافظت على الواجبات مع الجميع ، مع آل بيته (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وجيرانه وأعدائه ، كل هؤلاء كان لهم نصيب من إنسانية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي تفيض رقة وكرمًا وحسن خلق.

فما أحوجنا إلى التأسي بسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وخاصة في الجوانب الإنسانية التي لم تعرف الدنيا لها مثيلاً لتستقيم حياتنا.

اللهم ارزقنا حبَّ نبيك واتباعَه ، اللهم احشرنا في زُمرته ولا تحرمنا شفاعته.